من اجل شادي

لا تعطني كتابا عن الزهور .. اعطني زهرة حية واحدة، لاحب الزهور جميعا! لا تعطني مجلدات عن تاريخ الحروب .. اعطني مأساة صغيرة منها، لاكره الحروب جميعا! ثم لا تعطني الخطب والقصائد الحماسية .. اعطني اغنية بسيطة انسانية، لتحرك مشاعري وتجندها ..

سمعنا عشرات الاناشيد الحماسية عن الحروب والثورات والحقوق المغتصبة.. اثارت حماسنا، وسرعان ما انطفأ الحماس مع انطفاء اللحن .. وسرعان ما نسينا الكلمات الصاخبة الرنانة كالاجراس الكبيرة.

هل نستطيع الافلات من حنجرة فيروز حين تغنينا عن اي شيء .. عن الحرب والسنابل، عن الاعشاب والحب، عن الناس والسلام والنجوم والبيوت؟

اذا سألوني عن الادلة على تطور الانسان العربي منذ نكسة حزيران، فانني اضع بينها، وبلا تردد، الاقبال الشديد على فن فيروز.. وهو اقبال ملحوظ تشهد عليه الموجة الفيروزية في كل الوطن العربي، حتى اصبح واضحا ان فن الغريزة والحس اخذ يخلي مواقعه لفن فيروز الانساني العظيم.

من أعمال فيروز الاخيرة اغنية -قصة، كتبها ولحنها العربيان الجديدان منصور وعاصي الرحباني، طليعة الكلمة واللحن المشعين الوضيئين النظيفين في جيلنا..

تروي الاغنية -القصة، حكاية صبي كان أسمه "شادي".. كان يأتي من الاحراش ليلعب مع صديقته الصغيرة .. يكتبان على الحجارة قصص الهوى الصغيرة ويلوحهما الهواء .. في يوم من الايام اشتعلت الدنى .. وصار القتال يقرب على التلال .. وركض شادي ليتفرج فخافت صديقته وناديته .. لكنه لم يسمع واوغل في قلب الوادي المشتعل .. ومن يومها لم يعد شادي .. كبرت صديقته، وظل هو صغيرا وجاء الثلج وذهب الثلج .. عشرين مرة جاء الثلج وذهب الثلج .. وكبرت صديقته، وظل هو صغيرا .. يلعب على الثلج!

في الاغنية -القصة كلها لم ترد كلمة الحرب ولو مرة واحدة.. لم تردد الحماس الجرسي ولو كلمة واحدة .. لكننا سمعنا و"رأينا" مأساة مروعة من مآسي الحروب .. تزعزع قلوبنا وضمائرنا .. وتجندنا، بكل ما في الكلمة من مضمون، تجندنا ضد الحرب البشعة، وفي جبهة السلام الصافية كصوت فيروز العجيب .. تجندنا لنقاتل ونقاتل من أجل شادي .. حتى يكبر مع صديقته .. ومن اجل الاطفال جميعا ..